

هو اجس النفس

﴿ بين العامين ﴾

ضافني السهاد ليلة امس فسامرته حتى سئمت ، فمفتته ورحت
استدعي النوم الساعة والساعتين ، فبقي شاردًا ، فقلت : لا حول ولا ...
ثم اشعلت المصباح ادفع به وحشة الظلام
وكان قد نام سكان الدير ، وسكنت الحركة ، فلم اعد اسمع الا دقائق
ساعتي ، كأنها تقول : الزمان يزول ... فشعرت بوجيب قلب وخشوع ،
فقلت لنفسي : يا نفس لك من هذا السهاد فرصة ثمينة فاغتنمها ، وتأمل
قليلاً في شأنك ، فما قليل تصيرين الى موقف بين عامين ، مودع ومسلم ،
وتلك وقفة قل من استفاد منها . راجعي كتاب الماضي ، وافتحي كتاب
المستقبل ، لكن الامس قد عرفته ، فتطلمي اذن الى الغد . جولي في فضاء
الخيال ثم لنفي قلبي ما يمر بك من الهواجس ، وامل عليه ما به تشعرين !
فشعرت ان نفسي قد توقفت هنيهة كأنها رازحة تحت اجمال الانفعال
والتأثر . هذا وحفيف الاوراق يزيد في وحشتي ، وعقرب الساعة لا يزال
يسير ، فنظرت فاذا العام قد دخل في النزاع واوشك ان ينقضي أجله
فانقبضت اذ ذاك نفسي واندفعت تقول :

الى اين ايها العام انت مهروول في هذا الليل الدامس ؟ وفي احدي
يديك مشعل يكاد ضوءه ينطفي ، وفي الثانية منجل مفل ، . وعلى م
أخذت معاجيل الطرق وعلى ظهرك اجمال الايام تنوء بها ؟ . رويدك

رويدك فان طريق الماضي وعرة متحدرة ، والظلام مدلمم وانت شيخ مسن
فالتفت الي فاذا وجهه جمده الهواجس ، وشمر متلبداً شعته
الوساوس ، وكتفان تقوستا من قراع النوايب ، وقال وهو مسرع : « دعني
لا تليني ، فان الاعوام رفقائي قد تقدمتني الى محطة الابدية . . . » ولم
يكذ ضياء مشعله يتوارى في ظلام الزمان ، حتى قرع اذني صوت الساعة
الكبيرة فكان نصف الليل

*
* *

فالتفتُ اذ ذاك استقبل تباشير العام الجديد ، فرأيتَه وقد أقبل على
مركبة ملكية لابسا حلة الشباب البهية ، فتفرست في تلك المركبة الكبيرة ،
فاذا فيها من الدخائر العجيبة ما يكاد القلم يقصر عن وصفه
رأيت فيها اشواك الشقاء وقد اشتبكت بازهار الهناء ، ومن ورائهما
برفير الملوك وأطهار رثة تبين من خلالها يد المتسول مفتوحة للاستعطاء .
وسريرٌ يبدو منه رأس الطفل الصغير ونعوش اغنياء وتوايت فقراء ، وسممت
ضحكاً وبكاء ، ورأيت عدلاً رافعاً لواء الحق ، وظلماً ناشراً راية البطل ،
وفضائل بصورة راهبة قد جثت امام سرير المنازع ، ورفذائل شنعاء بهيئة
السكران ، ورأيت النخبة تدب عقاربها ، والرصانة كالاسطوانة الراسخة ،
والشراهة كأنها حوت على مائدة ، والقناعة وقد نبئت حوالها اعشاب
النسك والزهاد ، الى اشياء أخر كثيرة من بندقية قانص الطائر ، وشبكة
صائد السابح ، وسكة الفلاح ، وعكاز الاعرج وسرير المقعد ، وشبابة الراعي ،
وريشة المصور وقلم الكاتب ، وكتاب الزاهد ، ولجج فاغرة فاها ، واروثة

تنتشر جراثيمها ، ونيران يتصاعد لهيبها ، ورياح تعصف ، وريعود تقصف ،
وسكون وسلام ، وحروب ودماء

فبهتُ امام هذا المشهد الهائل ، ثم قلت : يا نفس لقد رأيت ما
رأيتِ فقولي لي الآن ما تشتهين في رأس هذا العام والى مَ تتوقين ؟ ثم
قلت : مهلاً فاني قبل ان تختاري أودّ ان اريك بعين الحقيقة ما قد رأيتَه
بعين الفكر



لما تنفس الصبح كنت على ظهور « الاشرفية » حيث يبدو للناظر
بقعة خضراء بسقت فيها الاشجار ، تطرد تحتها مياه النهر ، وهي تنساب
متسابقة الى البحر فتغور في اللجج . فجلست على صخرٍ وقد حان وقت
بزوغ الشمس ، وسكن نسيم الصبح ، فراحت العصافير تنتقل على
الاشجار وأخذت الطبيعة تنهض من سبات النوم ، والحياة تتجدد في
الاعشاب ، والدخان يتصاعد من فوق البيوت حيث تُسمع قلقة المفاتيح
والاقفال وصرير الابواب وعويل الاطفال . ثم اخذت المناظر تتضح
شيئاً فشيئاً وما هي الا بضعة دقائق حتى بزغت الشمس من وراء الافق
ترسل حرير شعاعها يمسح دموع الازهار . وكانت بارتفاعها تشرف على
الغيوم المنتثرة فتفر هذه بسرعة امام ملكة الطبيعة . وصارت فقاقيع مياه
النهر تتألق لامعة كأنها تفتح وتغمض . والتلال تيقظ السهول لترتدي
أردية الجلاء

فقلت يا نفس امامك من الطبيعة مشهد طالما شيب به الشعراء ،

فتظلمي واتهجي وقولي لي ، أتريدن ان انصب لك على هذه التلال
خيمة منها تملكين هذه البرية الجميلة ؟ ... فأنت من نفسي انعطافاً
كأنه يقول : أجل ان المشهد لباهر ولكن ليس هنالك كل رغائبي

فقلت لها : ارفمي النظر قليلاً ، وانظري الى « لبنان » العزيز ، وطن
الاسود وارض الاولياء . هالك « صنين » وقد جالس على القنّة شيخاً جليلاً
فصبحه مع الشمس في رأس العام ، وتغني له شيخوخة صالحة واطلبي
لبنيه ان لا يُقلقوا راحة ايهم الشيخ ، وقد شيدت رأسه الاعوام وحدبت
ظهره الايام . تلهذي بما يحمله اليك النسيم من منمطفات الوديان واستنشقي
شذا الارز وتفتحات الرياحين . تقلي النظر في هاتيك القرى المنتثرة هنا
وهناك ، وانظري القرويين وقد هبوا لاشغالهم . خذي النظارة وانظري
الرعيان على هاتيك الروابي وقد سرحت قطعانهم ترمي في المراعي الخصبية .
هاك الشبابات في أيديهم ، ولو كنا على مقربة منهم لسمعنا الحانهم الرقيقة .
وها إن المسكارين ايضاً ينزلون في معاجيل الطرق وهم يتغنون على ظهور
دوابهم ويتغنون « بالميجانا والعتابا » . آه ما اجمل الجلوس في ظلال تلك
الاشجار الوارفة وما أحيلى المقام في هذا الجبل المقدس . فقولي لي الآن
أتريدن أن تكوني أميرة على لبنان فتحي فيه الشهامة والمروءة وترجي
اليه مامات من الفضائل الى الحيوة ، وتعلمي ما يُزرع فيه من زروع
الفساد فتخفق فوق روايه رايات الأمن والسلام ؟

فتململت ثم قالت : ذلك من أفضل الامور ولكن ليست لذتي في
التسلط على الشعوب فمجبت لأمرها وذهبت بها الى شاطئ البحر

وهناك الحصى البيضاء منتشرة فوق الرمال كأنها الآلى ، على بساطٍ من حرير . وعلى الشاطئ ، صيادٌ مشمرُ الساقين وقد غاصت قدماه في زبد الامواج ، وألقى الشص في الماء ووقف ينتظر النصيب . فأسرت الامواج الينا كأنها تريد السلام فسكانت تحني الرؤوس وتعود الى اللجج . وهناك قوارب نشرت الشراع فهب فيها نسيم التوفيق ، فخرت تشق المياه تاركة من ورائها خطوطاً طويلة لا تلبث أن تغمرها المياه

ثم صفرت باخرة ومرّت ترشق الفضاء بدخانٍ محموم ، وعلى ظهرها المسافرون يلوّحون بمناديلهم وداعاً لمن يشيعونهم بالعيون والقلوب . فقلت لنفسي : أتشائين السفر الى الاصقاع البعيدة فنسيح ونثره في جنات الاندلس ونرى ما ترك العرب فيها من آثار العظمة ثم ننتقل الى فرنسا ربّة البدائع . ثم نيم ايطاليا فنفكه السمع بالانغام الموسيقية وذلك مما يطيب لك جداً ونشخص الى رومة مقام السيادة المسيحية ونزور الدياميس حيث رفات الشهداء ، ومن هناك نتوجه الى المانيا فتتوغل في غاباتها . ونرحل الى روسيا نرى قباها العالية ونرسل النظر في هاتيك السهول الواسعة . ثم نرجع الى بحر الروم فنصعد من يافا الى الارض المقدسة فنزور المغارة التي بزغ منها نور الخلاص وجرى ماء الحياة ، وبستان الزيتون والجاجلة التي تبرك الشفاء بأثم ترابها . ثم نجتاز مضيق السويس الى البحر الذي عبره بنو اسرائيل بالاقدام ، ومن هناك يمتد نظرنا الى بادية العرب ارض الشعراء ، والى افريقيا فنجتازها من اهرام الفراعنة ، الى ارض الترنسفال التي حشا الله جوفها بالالماس ونمّر بشواطئ الهند

حيث اللآلئ وتفرج على الاواني الصينية البديعة الصنع . واذا شئت
واصلنا السير الى اليابان فاميركا فاوستراليا ، ولا ندع ارضاً وطئتها اقدام
الرحل والسياح الا دخلناها . فهل تسرين بذلك ؟

فاجابت : حبذا الاسفار ففيها نزهة الابصار والافكار ، ولكن ليس
في ذلك ما يشبع رغبتى ويتم لذتى

فحرت في امري وقلت لها هلمي الى الحقول فنبذر البذور ونستغل
الغلال ونشحن السفن ونتجر التجارات الواسعة ونعدن المعادن ونكثر من
المعامل ، فنربح الارباح الطائلة ونجمع من الذهب القناطير المقنطرة ،
فنبنى الدور ونشيد القصور ونكثر من الخدم والحشم وندعو بالمغنين
والمطربين والراقصين ونأدب المآدب ونحتسي كووس الشراب مع الندماء
والاحباب . فما تقولين في ذلك . أما تشتهين ان تسبحي في غنى الارض
وملاذها ؟

فعبست وقالت : كلا . . . ليست في ذلك راحتي

فقلت : لعلّ الدرس يطيب لها . فسألتها : اريدن الانصباب على
الدرس لتكوني في مستقبل الحين عالمةً في الطبيعيات والكيمياء والرياضيات
والفلسفة والطب . فتكشفين سرّ الكهرباء وتوسعين حدود علم النجوم ،
وتظهرين اجساماً جديدة وتخترعين قواعد حسابية وتكشفين عن ادقّ
اسرار النفس وتوجدن دواء لكل داء . او تودين ان تكوني . وسيقياً بارعاً
يتسلط على النفس بانعامه فيضحك الشكلى ويسيل أجمد العيون . او
تشتاقين ان يكون لك ريشة تحقر ابداع ما اتى به رافائيل وميكالنج ، او

قلمٌ يصور ارق العواطف فيقفي في زوايا النسيان اوثلك الشعراء المشاهير
 هوميروس وفيرجيل وامراً القيس وشاكسبير ودانت وراسين . . أو أن
 تكوني خطيباً مصقماً يقتاد الشعوب ، وهرز بقايا آثينا ورومة وطن أمراء
 الخطابة . أو نقاشاً يدهش أرواح اليونان في قبورها . أو قائداً يكسر على
 ركبته سيوف الاسكندر والقيصر و نابوليون ؟ . وإخالك الآن لا ترفضين .
 فتوقفت ثم قلت : ان مجد العلوم والفنون لما يفضل على جميع ما سواه .
 ولكن رغبتني فوق كل ذلك ؟

فوقفت ووقفه المتحير وقد فرغت جعبة مسألي فقلت : وياك ان في
 امرك لعجبا ! لقد عرضت عليك كل ما يتوق اليه المرء في هذه الدنيا
 وأنت عن كل ذلك ترغبين ، فلقد والله أبرمتني وأسأمتني . . فالى الدير . .
 ثم قفقت راجعاً الى غرفتي مطرقاً مبلبل البال وقضيت النهار مفكراً
 ولما كانت العشية خشيت ان يضيفني السهاد كما ضافني أمس .
 فصعدت الى السطح قرب الساعة الكبيرة ، وكانت الشمس في المغرب
 والدغش مقبل ليغشي الارض فكانت المناظر تذهب تباعاً ، وما هو الا
 قليل حتى ارخى الليل سدوله وغيب البرية الظلام . فظهرت النجوم تتألق
 في الفضاء بهاء يسحر العيون ويأخذ بمجامع القلوب .

وكانت نفسي اذ ذاك كمصباح يحوم حوله ألوف من الفراش والهوام .
 وانني لكذلك اذ لاح لي خاطر جديد فناجيت نفسي قائلاً يا نفس لقد
 رفضت كلما عرضته عليك من امور هذه الدنيا ، فلم يبق الا ان أسألك
 امراً واحداً : أتريدين ان نركب طيارة تطير بنا الى ذرى الفضاء فنكون

على مقربة من الكواكب والنجوم ، فتراعي بهاءها ونعجب لا تساعها
وكثرتها . ونسبح فيما لانهاية له من الفضاء ومن هنالك نشرف على الارض
وما فيها ونشاهد البحار والسهول والجبال فهلاً ترضين

وهناك انتصبتُ عابساً شاخص العيون انتظر ما تجيب

فرايت ان نفسي قد انقبضت واجتمعت كهصفور يتحفز للطيران
حتى حسبت أنها تقول . نعم الكني ارتدوت الى الوراء اذ انتفضت
وقالت باهجة المويخ : لا ، لا ، لا

فاخذ مني العجب مأخذه فالتفتُ اليها وقد مليء في بكلمات اليأس
والقنوط وقلت : يا نفسي ، فقاطعتني الكلام وقالت : مهلاً ، لقد طلبت
الي ان اهجر الارض ، فليكن ولكن اعلم اني لا اكتفي بالوقوف بين
الارض والسماء وانما اشتهي وارغب واتوق ان اخترق الفضاء واتغلغل بين
الكواكب والنجوم فاجتازها حتى اصل الى الذي خلق الكواكب والنجوم
وأوجد المال والجمال ، وابدع العلوم والفنون ، وبسط الارض ورفع السماء
حتى اصل الى « الله » فهو خيرى الاعظم وفيه محط رغائبي ومجتمع اشواقى .
وبعد ان اطلمتُ على رغبة نفسي رجعت الى غرفتي مطمئناً ساكناً وقلت :
اللهم اجعل هذا العام عام اقبال وفلاح ، بمنك وكرمك يا ارحم الراحمين

الحورى

(بيروت)

مارونه غصص



◀ تمدن المرأة المصرية ▶

« عوداً على بدء »

كتبت في العدد الثامن من هذه المجلة الغراء عن المرأة المصرية وكيفية استعمالها لتمدن الحديث ، وما جلبته من الاضرار بسبب فهمها قشوره لآلئها ، وقد ارسات على ذلك حضرة الآ نسة الادبية ادما كيرلس رداً لطيفاً ، ذكرت فيه أني رشقت بنات جنسي باحد السهام اذ وصفت المرأة التي تقتل الوقت بالزينة ، واهملت ذكر التي تعمل لاكتساب الفضيلة والتحلي بها . وعليه أجيب : ان الذي حملني على وصف النساء المهملات لواجباتهن دون المتفانيات في سبيلها هو ان تلك التي تسمى في خدمة العائلة وتضحى الملاهي والمسرات لتحافظ على ترتيب داخليتها ومستقبل صغارها هي قليلة جداً بالنسبة الى العدد الكبير من اخواتها الباقيات ، يوجد منها تقريباً عشر بالمائة . وهذا عدد زهيد لا يبني عليه حكمٌ ، ولا يقوم بالشرط المطلوب لسد الثلثة الواسعة في صرح الترقى وال عمران . وعليه فقد تكلمت بمقتضى الحالة العمومية التي هي المصدر الحقيقي لكل عامل ان تأخر وان تقدم . غير ان اقوالي اصاب الحقيقة عينها ، ولذا جاءت جارحةً لبعض القلوب اللطيفة ، ولكنني لم أُنح بهذه الافكار ، الا لا اعتقادي بوجودنا في عصر النور والعارف ، عصر الحرية ، حيث لا يجوز حجب الافكار عني ان يُستخرج من كل فكر فائدة ، فنصل بعد ذلك الى الغاية المطلوبة من ازدياد المعارف وارتقاء المدارك

وقد قالت حضرة الكاتبة عاذرةً ، بنوعٍ ما ، التي تتبع المودة ناسبةً هذا المهارة يديها بعد ان تكون حافظت على نظافة الملابس ، فتمكنت من قلبها حسب الذوق الدارج ، وقد اتت عبارتها هذه في محلها من الحق والعدل . على انه يقال في هذا ما قيل في تلك ، اعني ان المرأة البارة التي تزين بفضل مهارتها وتفنها ، ولا تتبع المودة الا بعد ان تكون حافظت على اتمام واجباتها هي من العدد القليل ، وليس لاصلاحها تأثيرٌ يذكر في باب الخراب الواسع . وكم من زهرة ضاعت بين اشواك فخنقت ، وكم من نجمة سترت تحت غيوم السماء فحجب نورها عن الابصار . فلم يظهر للناضر الا الظلام الحالك وهكذا نحن لا يمكننا الا ان نرمي في مقالنا الى العدد الكبير اي الى اللواتي يصرفن الغالي والرخيص في اتباع ما تختلقه ربّاتُ الازياء ، وهذا امر اصبح اشهرَ من نارٍ على علم . فكم من رجل يئن لبذخ امرأته ، وعدم مراعاتها احواله ، وكم من اولادٍ اشرفوا على التهور في دركات الهلاك ، ووالدتهم يشاغلُ عنهم في اعداد الزينة والتفنن بها . وكم من ابٍ اخنت ظهره متاعبُ الايام ، وبيضت شعره احوالُ الزمان ، غير انه يبكي الآن لما يشاهده من اعوجاج الازياء ، وترك البساطة القديمة وعدم اللياقة في الاثواب ، فاصبح ينظر لابنته المتقلدة نظرة المهيب الموجع واذا لم تعباً بنظرته يس وقال : حينما يومٌ أرى فيه قبل مماتي جاهلتي هذه تبذل النفس والنفيس لتمثل بالعاقلة ، وتحلى نظيرها بحلى العلم والفضيلة ، التي لا تشوبها شائبة ولا تؤثر فيها الاهواء والازياء : واننا نرى مثل هذا الاب اباء يبذلون كل ما في وسعهم ليشوا روح البساطة وسلامة الذوق في

قلوب النساء ، وما تقرأه في الجرائد من الانتقاد علينا وعلى ازيائنا يؤيد صحة قولي . فعليه يكون اتباعنا للتقاليد المضرّة على رضى تامّ منا اما لمطابقتها لاذواقنا ودرجة معارفنا ، واما لمراعاةنا أصوات الجهلاء . وعلى كل فان لم يزد عدد المصاححات فينا على عدد المخربات ، فلا أمل بالنجاح ، وعبثاً ننادي بالاصلاح دون الشرط المتقدم

اما ما كان من نزوعنا عن لغتنا العربية الى اللغات الاجنبية فليس من ذنب على الرجال في هذا الباب ، كما زعمت حضرة الكاتبة الادبية ، بل هم يُعذرون اذا اعتبروا من اتقنت اللغات الغربية دون سواها ، لان معرفة اللغات الاجنبية تدل على زيادة علم وارتقاء ، فضلاً عن انها لغة الاختراعات والمعارف ، ومن لم يتقنها حتى من الرجال لا يمكنه ان يكون عاملاً مفيداً في الهيئة الاجتماعية . على ان هذا لا يمنع ان نحفظ للغتنا المركز الاول خصوصاً وفيها ما لا يقل فائدة عن آداب بقية اللغات ، واذا قلنا بوجود تعلمها لانعني الاقتصار عليها فقط ، كلاً ، بل المراد من ذلك جعلها اللغة الاصلية التي لا يجوز اهمالها مطلقاً ، لانه من الضروري ان يعرف ابن كل امة آداب لغته ، وما فطر عليه اجداده ، وكيف كانت احوال بلاده

فلنا نحن الشرقيين في هذا ما نفاخر به ، ولو ثابرتنا نحن ايضاً معشر النساء على درس اللغة العربية ، واتقناها كما يجب نظير بقية اللغات ، اذ لم اقل اكثر ، لملنا الرجال على احترامها واعتبارها فينا بتكريمهم من اتقنت العربية اكثر من سواها . ولكن من اين لنا هذا ونحن نرى ان ام العائلة

اذا ارادت مناغاة ولدها ثاغته بلغة اجنبية ، ومتى كبرت ابنتها واسمعتها
نصائحها سمعتها الابنة بلسان اجنبي . وعليه تشب هذه الصغيرة وعندها الميل
الاكثر الى ما تعودت سماعه فتظن ان اللغة الاجنبية تغنيها عن لغة قومها
وهكذا تغفل وتكون على جهل تام من العربية وتاريخها ، . وقد رأينا كثيرات
من اللواتي يتجاهلان لغتهن ظناً منهن ان في ذلك مفخرة لهن ، او بالاحرى
تفريخاً . فانظرن ، يا صاحبات الرأي الصائب فينا ، الى هذه الافكار التي
سرت في عقول اكثر فتياتنا . أليس هذا دليلاً واضحاً على تاخرنا؟ وهل
يرجى تعميم اللغة العربية وارتفاع شأنها عند الجنس اللطيف وفيه من
يحتقرن ويجهلان لهذه الدرجة لغة اجدادهن؟ لعمري إن لم نسع لاستئصال
هذه الاوهام من عقول هؤلاء الاخوات يخشى علينا من زيادة التهور .
ولا يجب ان نلقى من هذا القبيل كل اتكالنا على الرجال اذ نحن صاحبات
التأثير الاكثر مفعولاً في استمالة الرغائب والاميال لكل غاية تقصدها ،
فمسي ان ينصرف هذا المقصد الى ما فيه هدايتنا ونهضتنا

واني بكل شكر وسرور ايسط يدي من هذا الوادي لمصافحة اليد
التي بسطتها لي اديبة بيروت ، بل اضع يدي بيدها للسير في الدفاع
عن بنات جنسنا كل واحدة على طريقتهما . كما اني ارجو من سائر اخواتنا
ان يطرقن هذه المواضيع التي تدور على شؤوننا الخاصة لان بها العامل
الأكبر على ترقينا ونهوضنا عسانا ان نصادف في « الزهور » الطريق
المؤدية الى ما فيه خيرنا وفلاحنا

هرى اسكندر

كبيرك

مصر